مجلة جامعة تكريت

للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة
تصدر شهرياً عن كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة تكريت / العراق

المجلد (٢٢) العدد (٣)
رمضان ١٤٣٦هـ ، حزيران ٢٠١٥م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٣٠٦ لسنة ٢٠٠٩

مجلة جامعة تكريت

للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة
تصدر شهرياً عن كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة تكريت / العراق

المجلد (٢٢) العدد (٣)
رمضان ١٤٣٦هـ ، حزيران ٢٠١٥م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٣٠٦ لسنة ٢٠٠٩

مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية

هيئة التحرير

١. أ.د. صالح علي حسين الجميلي	رئيس التحرير
٢. أ.م.د. غنام محمد خضر	مدير التحرير

الاعضاء

٣. أ.د. عبد الكريم رشيد عبد اللطيف	جامعة تكريت
٤. أ.د. صالح حسن عبد الشمري	جامعة تكريت
٥. أ.د. ناهدة طه مجيد	جامعة تكريت
٦. أ.د. صاحب عبد مرزوك	جامعة تكريت
٧ أ.د. صبري مسلم حمادي	جامعة مشيغان / امريكا
٨. أ.د. وجدان عبد الإله الصائغ	جامعة مشيغان / امريكا
٩. أ.د. فائز طه عمر	جامعة الشارقة الامارات
١٠. أ.م.د. وفاء محمد علي القطيشات	الجامعة الاردنية/ معهد اللغات
١١. أ.م.د. قتيبة يوسف الحباشنة	الجامعة الاردنية /معهد اللغات
١٢. د. سعد عبد اللطيف جدوع	سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

١. أ.د. فائق مصطفى احمد	جامعة السليمانية
٢. أ.د. قاسم المومني	جامعة اليرموك / الاردن
٣. أ.د. عبد الرحمن الوصيفي	جامعة المنصورة / مصر
٤. أ.د. احمد حمد محسن الجبوري	جامعة تكريت
٥. أ.د. مجيد ملوك السامرائي	جامعة تكريت
٦. أ.د. جمعة حسين محمد البياتي	جامعة تكريت
٧. أ.م.د. حسين نورى محمود	جامعة تكريت

الموظفون

١- منال جودي محمود
٢- هاني صلاح عايد
٣- عامر محمود حسن

- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي المجلة .
- ترتيب البحوث في المجلة لا يخضع لأهمية البحث ولا لمكانة الباحث .
- لا تتحمل المجلة مسؤولية الأخطاء الاملائية والنحوية الواردة في البحوث.
- لا تتحمل المجلة مسؤولية البحوث المسروقة ويتحمل الباحث التبعات القانونية المترتبة على ذلك .

- عنوان المجلة :العراق – محافظة صلاح الدين – تكريت

ص. ب . (٥) فانوس المجلة (٠٧٤٨١٤٠٨٠٥٨)

البريد الالكتروني : Tikrit _ university_journal @yahoo.com

موقع المجلة على شبكة المعلومات الدولية :

www.tu-jfh.com

موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية

شـروط النشر في المجـــلة

١) أن يكون البحث مطبوعاً على الحاسوب ويقدم الى المجلة بثـــلاث نسخ ورقية .

٢) أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة وبخلاف ذلك يتحمل الباحث مبلغاً إضافياً مقداره الف دينار عن كل صفحة تتجاوز العدد المحدد .

٣) أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية ولا تتحمل المجلة مسؤولية ذلك .

٤) أن يكون البحث غير مستل من شبكة الانترنيت ويتحمل الباحث التبعات القانونية .

٥) في حالة كون البحث مستلاً من أُطروحة دكتوراه أو رسالة ماجستير تجب الإشارة إلى ذلك في الهامش .

٦) أن يكون البحث ضمن الاختصاصات الإنسانية .

٧) تلتزم المجلة بإشعار الباحث بقبول بحثه للـــنشر بعد شهر من تاريخ إستلامه .

٨) لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لا تقبل .

٩) يلتزم الباحث بدفع أُجور النشر المقررة كما يأتي :-

(٥٠٠٠٠) دينار مرتبة مدرس ومدرس مساعد.

(٦٠٠٠٠) دينار مرتبة أُستاذ مساعد .

(٧٥٠٠٠) دينار مرتبة أُستاذ .

(١٠٠) دولار إذا كان الباحث من خارج العراق .

١٠) يطبع البحث ببرنامج (Microsoft Word) وتوضع الرسوم أو الأشكال (إن وجدت) في مكانها من البحث ، وتوضع الهوامش (إن وجدت) في نهاية البحث ، ويرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانكليزية .

١١) يخزن البحث على قرص مضغوط (CD) لغرض النشر .

محتويات العدد

ت	عنوان البحث / اسم الباحث	الصفحات
١-	الإمام البرقي وأقواله في الجرح والتعديل من خلال كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانـــي - دراسة مقارنة - (نماذج مختارة) أ.م.د.خالد حمادة صالح الجبوري م.د.مثنى احمد وكاع الجبوري جامعة تكريت / كلية التربية العلوم الإنسانية	١-٢١
٢-	الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الجمعة (دراسة مقارنة) أ.م.د. نوح زرنان عبد الجبار الحديثي	٢٢-٤٣
٣-	مفهوم اليوم الاخر في الديانات القديمة(دراسة عقدية مقارنة) د. خالد عبيد صالح العزاوي الست . سعدية محمد سحاب جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية	٤٤-٦٣
٤-	الموت والتوفي والقتل في المنظور الاسلامي د. خالد عبيد صالح د. ثابت مهدي حمادي جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية	٦٤-٨٨
٥-	أبو مسهر الدمشقي ت(٢١٨هـ) وأقواله في الجرح والتعديل – دراسة نقدية أ.م.د. محمود حميد مجبل جامعة الانبار/كلية التربية للعلوم الإنسانية	٨٩-١٨١
٦-	سؤالات الخطيب البغدادي للإمام البرقاني في الجرح والتعديل - جمع ودراسة - نماذج مختارة أ.م.د. خالد حمادة صالح الجبوري م.د. وائل عبد الكريم محمد الحاج جامعة تكريت / كلية التربة للعلوم الإنسانية	١٨٢-٢٤٨

-٧	القياس الخاطئ وأثره في تطوّر الألفاظ ودلالاتها أ.م.د. فرهاد عزيز محيي الدين جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية	٢٤٩-٢٧١
-٨	رسالة عبدالحميد الكاتب الى الكُتّاب[دراسة أسلوبية] د. هاذة عباس علي جامعة السليمانية / سكول اللغات	٢٧٢-٢٨٨
٩	سؤال الهوية في رواية المرأة الفلسطينية "مذكرات امرأة غير واقعية لسحر خليفة أنموذجا" د. عبلة ثابت د. سهام أبو العمرين جامعة الأقصى، غزة – فلسطين/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية	٢٨٩-٣٠٦
-١٠	عتبة التصدير في الرواية العربية المعاصرة روايات /عبد الخالق الركابي ، احلام مستغانمي ، ابراهيم الكوني أنموذجاً أ. د. صالح علي حسين الجميلي جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية	٣٠٧-٣٢٠
-١١	أثَرُ التَوهيمِ الصَرفيِ في تاجِ العروسِ أ.م.د. محمد ياس خضر الدوري السيد علي فرحان زغير جامعة تكريت / كلية التربية	٣٢١-٣٤٩
-١٢	اسماء لامعة في البحرية العثمانية طرغود باشا ١٤٨٥ – ١٥٦٥ أ.م.د.كهلان كاظم حلمي جامعة الانبار /كلية الاداب	٣٥٠-٣٨٥

١٣	فاعلية أسلوب التحدث الذاتي في تعديل سلوك الأنانية لدى طالبات كلية التربية أ.م.د. احمد يونس محمود كلية التربية جامعة الموصل أ.م.د. علي عليج خضر كلية التربية الأساسية جامعة تكريت	٣٨٦-٤١٩
١٤-	اراء طلبة الدراسات العليا في الاداء التدريسي لاعضاء هيئة التدريس في كلية التربية للبنات جامعة تكريت د. محسن مولود سلمان كلية التربية للبنات / جامعة تكريت	٤٢٠-٤٤٦
١٥-	التلوث البيئي في محافظة الانبار بين الماضي والحاضر ا.م.د كمال عبدالله حسن كلية الآداب كلية ا.م.د ضياء خميس علي التربية للبنات جامعة الانبار	٤٤٧-٥٠١
١٦-	تحليل التباين المكاني لتركز الاستثمار الزراعي في محافظة كركوك الأستاذ المساعد الدكتور غسان خليل إبراهيم جامعة كركوك/ كلية التربية للعلوم الإنسانية	٥٠٢-٥٢٦
١٧-	الابعاد المكانية لتوزيع المراكز الصحية بمحافظة صلاح الدين د. طوفان سطام حسن جامعة كركوك/ كلية التربية للعلوم الانسانية	٥٢٧-٥٥٣

سؤال الهوية في رواية المرأة الفلسطينية
"مذكرات امرأة غير واقعية لسحر خليفة أنموذجا"

د. عبلة ثابت د. سهام أبو العمرين
جامعة الأقصى، غزة – فلسطين/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ملخص البحث:

تعيش المرأة أزمة هوية على المستويين الخاص والعام؛ على المستوى الخاص تنبع أزمتها من كونها أنثى تنتمي لمجتمع يكبلها بالقيود ويحاصرها بمجموعة من المحاذير والنواهي، وعلى المستوى العام تعيش المرأة مع الرجل أزمة إنسانية ووطنية مشتركة بعد عدد من الهزائم التي طالت من الذات العربية. تطرح الدراسة سؤال الهوية من خلال الوقوف نقديا على رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" لدراسة تحولات الذات المؤنثة في بحثها عن ذاتها على المستويين العام والخاص

مدخل:

حققت المرأة العربية في الأدب هوية وصوتًا متميزًا وتاريخًا طويلاً، ولعل هذا يرجع لتعليم المرأة، والتحرر من الاستعمار، وخروج المرأة للعمل، مما أدى لاتساع تجربتها الإبداعية. وقد فرض إبداع المرأة ذاته على الساحة الأدبية والثقافية، فقد ظهر العديد من الكاتبات البارزات في كل الأجيال، فوقفنا عند كاتبة من الكاتبات الفلسطينيات المبدعات وهى الكاتبة "سحر خليفة"، حيث تمت مقاربة سؤال الهوية عند هذه الكاتبة في بعديها الذاتي والجمعي، وذلك في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية".

لقد شكل سؤال الهوية شاغلا مهما في الرواية الفلسطينية؛ لأنه لايزال يثير جدلا في الساحة الأدبية العربية إذا ما تحدثنا عن الأدب النسائي، وفي الساحة العالمية إذا ما تحدثنا عن الهوية التي أضحت خطابا متداولا .

المرأة بصفة عامة تعيش أزمة هوية على المستويين العام والخاص، على المستوى الخاص تنبع أزمتها من كونها أنثى تنتمي لمجتمع يكبلها بالقيود، ويحاصرها بمجموعة من المحاذير والنواهي، وعلى المستوى العام تعيش المرأة مع الرجل أزمة إنسانية ووطنية مشتركة بعد عدد من الهزائم طالت من الذات العربية التي باتت تبحث عن هويتها في ركام الماضي هروبا من الواقع القامع.

إن سؤال الهوية في الوطن العربي وفي العالم ككل اصطبغ بالصبغة الأيديولوجية، يستعمله السياسي، ورجل الدين، والاقتصادي، وعالم النفس، والعلماني، والأصولي، فمفهوم الهوية من المفاهيم التي نجد صعوبة في إيجاد تعريف واضح ومحدد لها، فهو مفهوم أيديولوجي أكثر منه مفهوم علمي، خاصة وأنه يمكن التعبير عن الهوية من خلال سمات تشترك فيها الجماعة الواحدة مثل الدين أو القومية أو اللغة أو العرق، وهذه السمات متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها[١].

إننا لا نستطيع أن نضبط مصطلح الهوية في تعريف محدد، فكلما اعتقدنا أننا اقتربنا من فهمه، نجد أننا نبتعد نظرًا لتعدد التخصصات والمجالات التي تعرّف الهوية، فتتباين تعريفاتها بين كل من علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها من العلوم المعرفية، فبقدر ما يبدو مفهوم الهوية واضحا وبديهيًّا عند العامة التي تعرفها بأنها أي (الهوية) الوطن واللغة والدين، بقدر ما هو دقيق جدا، يتعذر في واقع الأمر تحديده، فحتى هذه المقومات التي تبدو لفهم وتحديد الهوية، في الحقيقة تختلف من أمة لأخرى، كما وأن أهميتها منفردة أو مجتمعة تتباين حسب الظروف على مستوى الأمة الواحدة، فقد يكون الدين مثلا أهم مقوم يمثل الهوية وتصبح رديفا له، لكن قد يتغير الظرف السياسي أو الاقتصادي في المجتمع، فيحل مقوم آخر محل الدين كالوطن ليمثل الهوية.

الهوية كاصطلاح لغوي بحسب معجم الوسيط هي "عين الذاتية" فهي الامتياز عن الغير ومطابقة النفس، أي خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد والمجتمع عن الغير من خصائص ومميزات، ومن قيم ومقومات[٢].

ومن هنا برز على السطح سؤال الهوية عن الثابت والمتغير، وعن الأصيل والدخيل، فتكثر الآراء وتتعدد بحسب المنطلقات الفكرية والأيديولوجية والنفسية.

إن للهوية وجود وحضور مستمر داخل الفضاء الاجتماعي الذي تولد فيه، والذي يعيد إنتاجها باستمرار، ومادام هذا الفضاء مفتوحًا على الآخر المختلف فإن الهوية سوف تظل حية، وكما عبر عنها "تافيل" و "فوجاز" من خلال الصياغة التالية "يستلزم التصنيف إلى فئات

اجتماعية أكثر من مجرد التصنيف المعرفي للأحداث والأشخاص والأشياء. إذ أنه يتمثل في عملية تتأثر بالقيم والثقافة والتصورات الاجتماعية، وأكثر من هذا أهمية دور كل من عضوية الفئة الاجتماعية، والمقارنة الاجتماعية التي تتم بين الفئات في استمرار للهوية الاجتماعية الإيجابية للشخص وهو الدور الذي يقوم به الأفراد للبحث عن أوجه التمييز بين جماعتهم التي ينتمون إليها، والجماعات الأخرى وخصوصا على أساس الأبعاد ذات القيمة الإيجابية" (٣).

فالهوية عبارة عن حلقات متبادلة من معرفة الذات التي تتواجه مع الآخر، ويمكن للهوية أن تقوم على تغاير مع المكان كما يحدث، حسبما يقول إدوارد سعيد في كتابه "خارج المكان" من أن تمازج الهويات واختلافها قد يؤديان إلى تصارعها داخل الأمكنة والأزمنة، بحيث يتغير دور اللغة ودور الهوية ارتباطًا مع المكان الذي يحدد هنا بالوطن أو خارجه "والواقع أني تعلمت، وحياتي مليئة على هذا الحد بتنافر الأصول، أن أؤثر ألا أكون سويا تماما وأن أظل في غير مكاني" (٤).

أما "جوليا كريستيفا" فهي ترفض مفهوم الهوية من الأصل بما في ذلك القول بهوية نسوية وأخرى رجالية "باعتبار أن المفهوم ينتمي إلى مرحلة ما قبل التفكيكية، حيث التصورات المطلقة، سواء أكان أساسها بيولوجيًا أم اجتماعيا أم نفسيًا، بل تعتقد أن مصطلح الأنثوية هو مفهوم خلقته بنية الفكر الأبوي في تقنينها لعلاقات القوى الاجتماعية وهو مفهوم يضع المرأة في مفهوم هامشي ضمن منظومة علاقات القوى المعتمدة في المجتمع الأبوي" (٥)

ولعل المرأة كأي إنسان تسعى إلى إثبات هويتها الخاصة كجواز سفر خاص به، كي يعبر من خلاله العديد من الأجناس الأدبية والثقافية التي تعتنق مذاهب وأفكار ومبادئ شتى، إذ ما يقرؤه المتلقي من نتاجات أدبية يسعى صاحبها أو صاحبتها إلى إثبات ذاته أو ذاتها، وقضيته الخاصة به والعامة، وهو كفيل بأن يجعله قادرًا على الحكم والتأكيد " إن الذات هي غاية كل أيديولوجيا (أي الفرد في المجتمع)، ودور الأيديولوجيا هو أن تكون للناس كذوات"(٦)

وما سعي المرأة الحثيث في طريق لإثبات الهوية إلا محاولة لخلخلة بعض المفاهيم السائدة في المجتمعات الذكورية والحد من هيمنتها، إذ يهيمن الخطاب الأبوي المستحدث على الساحة الإبداعية والنقدية والاجتماعية ، محاولا إخفاء مادية الخطاب النسوي واستبعاده وإعادة تكريس الفصل والعزلة(٧).

إن الحديث عن سؤال الهوية في نصوص المرأة الفلسطينية حديث يشوبه الارتباك؛ لأنه مرتبط بحقيقة المجتمع قبل كل شيء، وما تعانيه من تفرقة واستلاب للعديد من حقوقها هي وكافة النساء على اختلاف العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، مما

جعلها تستوعب القضية التي تبحث في أسبابها، لتخرج من مجتمعها الخاص إلى مجتمعها العام لتعيش مع الرجل أزمة إنسانية ووطنية، وهكذا "يكون الوعى النسوي بابا يقودنا إلى إيجاد حلول لهذه المشاكل و إنهاء للتفرقة والوصول إلى مرحلة الانخراط في الحياة بكل أبعادها وجوانبها – كنساء- ولكن على مستوى واحد من التكافؤ والعدل، إن وجهة نظر المرأة تجاه جوانب الحياة التي تمسها تنبه المجتمع إلى أشياء وتثري من تجربته"(٨).

ولعل المرأة هي أجدر من يعبر عن هويتها برصدها للعديد من القضايا الواقعية التي طالت من الذات العربية، فهي ترفض الغضب والتمرد سبيلا لبروزها، وهى تأبى أن تكون عاطفية أو انفعالية في ردود أفعالها، كما لا يجب الثورة على أنوثة المرأة بل على ما تعانيه من ظلم واضطهاد، وهو ما ذهبت إليه "فرجينيا وولف"، عندما قالت: "لم أعانِ من كوني أنثى، لقد عانيت من كوني إنسانة في أمة تعاني، ولكنني أعترف بأنني تألمت كثيرًا لنساء عانين لمجرد كونهن نساء في مجتمع يعتبر (تاء التأنيث) نوعا من الرق، والمفجع هو أنهن كن يساهمن في ذلك باستسلامهن له واعتباره قدرا مقدسا لا واقعا اجتماعيا بحاجة إلى تبديل، شرطي الوحيد للمناضلة في صفوف الحركة النسائية هو أن تكون نسائية"(٩).

وهكذا أصبح السؤال عن الهوية ليس بحثًا عن حق التصويت الانتخابي، وتقويض السلطة الأبوية فحسب، بل تجاوزت هذه الأمور إلى قضايا أكثر خصوصية في رحلة البحث عن الهوية المستلبة.

وربما كان لانتشار التعليم في الوطن العربي ، وخروج المرأة للعمل مع التحرر من الاستعمار ما أدى إلى تحرر المرأة واتساع تجربتها الإبداعية في التعبير عن ذاتها.

فقد أكد الروائيون في رواياتهم على حرية المرأة واستقلالها كبطل فرد يحقق بحريته السعادة لنفسه وللآخرين كما يحقق بها رقى المجتمع وصلاحه اللذين يؤديان في النهاية إلى تحرر الوطن وسعادته(١٠).

وتعد سحر خليفة واحدة من الروائيات اللائي عُرفت أعمالهن في الوطن العربي، بسبب الجدية الشديدة التي تميزت بها رواياتها لالتزامها بقضايا الواقع الفلسطيني، وخاصة القضايا الاجتماعية التي نالت منها أكبر اهتمام.

فقد انشغلت سحر خليفة بالقضية الفلسطينية، وإن كان همها الأكبر هو التشابك مع المجتمع المتخلف الذي ينظر للمرأة نظرة دونية، ولعل الكاتبة جاءت محملة بهموم وضع المرأة المتعلمة، فصورت معاناة بطلاتها التي التزمت بقضية المرأة على وجه الإطلاق، وسلبيات الرجل الشرقي في التعامل معها، مع المحاولة الدائمة لتأكيد فكرة الحرية.

إن هموم سحر خليفة الخاصة بوصفها امرأة في مجتمع ذكوري، لم يجعلها تهمل قضية الوطن بل مزجت بين الوطن وقضية المرأة وفكرة الحرية، على اعتبار أن حركة المرأة داخل الأرض الفلسطينية المحتلة مثل حركة الرجل، وقد بدا ذلك واضحا في تحميل بطلاتها مهمة انتزاع الحرية من الرجل.

قضية المرأة ونضال الوطن:

غاصت روايات سحر خليفة في بنية المجتمع الفلسطيني ورصدت تفاصيله الدقيقة، خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة الفئوي في المجتمع الذكوري المتحيز ضدها، حيث رصدت حركة نضالاتها على المستوى الاجتماعي للحصول على حقوقها المشروعة ورفض قولبتها في مقولات تنتقص من كونها إنسانًا، كمقولات المرأة الجسد، والمرأة الكائن الأضعف بالفطرة، وعالجت سحر خليفة قضية المرأة ودمجتها بقضية الوطن ، فالتقى النضالان؛ نضال المرأة داخل بنية المجتمع لتغيير الفكر الذكوري عنها، ونضال الإنسان الفلسطيني سواء أكان رجلاً أم امرأة للحصول على حقوقه المشروعة من المحتل الغاصب. يتلازم هذان النمطان من النضال ويمتزجان في النصوص الروائية للمؤلفة؛ فلا تحرير للوطن سوى بتحرير العقول وإزالة كافة أشكال الظلم عن أفراده؛ لأن تحرير الوطن دون تحرير عقول الأفراد من الأفكار السلطوية البالية هو تحرير منقوص، فتحرير الأفراد فكريًا واحترام حقوق المرأة هو السبيل الأول لتحرير الوطن.

و"تعد رواية مذكرات امرأة واقعية" التي صدرت عام ١٩٨٧ من أكثر روايات "سحر خليفة" التي ألقت بأضواء كاشفة على وضع المرأة الفئوي داخل المجتمع الفلسطيني، وعلى الرغم من أهمية الرواية إلا أنها لم تنل اهتمام النقاد بالدراسة والتحليل قدر اهتمامهم بالسرود الروائية الأخرى للكاتبة، ولعل السبب يعود إلى أن رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" تغوص في بنية المجتمع الفلسطيني في الجانب الاجتماعي باعتباره المحور الأساسي للرواية، والتركيز على وضع المرأة، ومعالجة قضية المرأة المقهورة في التركيب التراتبي للمجتمع الذكوري، في حين أن الروايات الأخرى للكاتبة ركزت بشكل كبير على نضال الشعب الفلسطيني بجميع أطيافه فبرز الجانب السياسي فيها على الجوانب الأخرى ، ولاسيما في روايتيها السابقتين "الصبار" ١٩٧٦، و"عباد الشمس" ١٩٨٠، حيث رصدت عبرهما معاناة الإنسان الفلسطيني تحت نير الاحتلال الإسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧، وهذا ما جعل النقاد يهتمون بالروايات الأخرى التي برزت فيها قضية تحرير الوطن باعتبارها القضية الجديرة بالطرح روائيا، وأن القضايا

الأخرى يمكن إرجاء طرحها؛ لأن الأديب لابد وأن يتماس مع قضايا وطنه ومعاركه ويعطيها الأولوية، أما القضايا الأخرى فتعد هامشية إذا ما قورنت بقضية الوطن التي تعد قضية محورية.

في حقيقة الأمر لا يمكن فصل ما هو سياسي عن ما هو اجتماعي، فمصير الشعوب ونضالاتها جزء لا يتجزأ من تركيب البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فالبنى تتداخل، وتتقاطع القضايا، فلا يمكن عزل قضية تحرير المرأة عن قضية تحرير الوطن. فالمجتمع الذي لا يعتمد على مبادئ العدل والحرية لن يحقق خطوة في طريق تحرير الوطن. هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أن وضع المرأة المقهور هو صورة مصغرة من وضع الشعوب المقهورة من قبل سلطة إمبريالية تحاول أن تحكم سيطرتها على الشعوب المغلوب على أمرها، إنه نفس الفكر العنصري الذي يحكم سيطرته على الثقافة الجمعية؛ الفكر الذي يجعل من الرجل مركز السلطة وما دونه هامشي ليصبح المجتمع تراتبيا. وقد طرحت الرواية التي نحن بصددها هذه الإشكالية؛ فالساردة/ عفاف التي تعاني قهرا لكونها أنثى في مجتمع يحتفي بالذكور ويرى في الإناث عبئًا زائدًا، وبشرا من الدرجة الثانية، تناقش هذه القضية في ثنايا الرواية، وتتساءل بأيهما نبدأ أبتحرير الوطن أم بتحرير المرأة؟ تقول الساردة لصديقتها "توال" المناضلة اليسارية حول جدوى المنشورات السياسية التي توزعها:

" "مناشيرك لا تساوي بصلة". قالت بهدوء "لماذا؟ فسري". قلت "مناشيرك تحكي عن المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي والشمالي والجنوبي. لكنها لا تحكي عن معسكري أنا"[١١].

ويشي هذا القول بأن الساردة تستشعر أن النضالين لم يلتقيا بعد؛ النضال من أجل الوطن، ونضال المرأة من أجل نيل حقوقها كإنسان، ولذلك ترد عليها صديقتها "توال" في موضع نصي آخر قائلة: "عفاف جزء من ثورة المرأة الفلسطينية وثورة المرأة الفلسطينية هي جزء من الثورة الفلسطينية والثورة الفلسطينية هي جزء من الثورة العالمية"[١٢].

فالثورة لابد أن تكون شاملة لتؤتي ثمارها، فثورة المرأة ضد المجتمع الذكوري لابد أن تتلاقى مع ثورة الوطن فهي جزء منها، وهي المدخل السليم لتحرير الشعوب.

انطماس الهوية:

تنسج الرواية عبر توظيف تقنية ضمير المتكلم(ة)، وهذا الضمير يحيل على الذات مباشرة فهو "يستطيع التوغل في أعماق النفس البشرية فيعريها بصدق، ويكشف عن نواياها بحق؛ ويقدمها إلى القارئ كما هي، لا كما يجب أن تكون"[١٣]فهذا الضمير من الناحية

السيمائية يرتبط ارتباطا فاعلا بالذات المتكلمة ويكشف عن حضورها وتجليها، وحضور الذات المتكلمة لا يعنى تفردها واتساقها، إنما قد يكون حضورًا يجسد التأزم ويعلن عن عدم الاتساق مع الذات؛ فالساردة "عفاف" تكشف عن ذاتها المشرذمة منذ بداية الرواية فهي تعيش في مجتمع يكبلها بالقيود، ويحط من قدرها كإنسان، ويحاول قولبتها في أدوار منمذجة عن المرأة التي يجب أن تكونها ويرضى عنها المجتمع. ولذلك جاءت الرواية على شكل مناجاة وتداعت الذات لتكشف عن عذاباتها وأزماتها مع نفسها ومع محيطها الاجتماعي. وقد أعلن السرد هذا التأزم منذ تخلق السطور الأولى للرواية، تقول الساردة:

"أنا ابنة المفتش، وبقيت كذلك حتى تزوجت وأصبحت زوجة تاجر، وأحيانا أكون الاثنتين معا. فحين يسخر الزوج يناديني "يا ابنة المفتش"، وحين يغضب الوالد يناديني "يا امرأة التاجر"[١٤].

حضور الذات المؤنثة هنا ليس حضورا متفردا ومستقلا، بل تذوب الذات وتتلاشى، وتنسب لذاتين تعريفيتين آخرتين، تستمد منهما الهوية، فهي "ابنة المفتش" قبل الزواج، حتى أصبحت "زوجة تاجر" بعد الزواج، ولا يخفى ما تحيل إليه الوظيفتين في علاقة الذات المؤنثة بهما، فما بين "التفتيش" و"التجارة" تضيع الذات وتهمش، فـ "التفتيش" يحيل إلى معنى الرقابة الذكورية، و"التجارة" يحمل في طياته معنى الاستهلاك حيث تحديد الثقافة الجمعية للوظيفة المنوطة المرأة والنظرة الاستهلاكية لجسدها.

ولعل هذ ما يستدعي مقولة "سيمون دي بوفوار" الشهيرة: "إن المرأة تبدأ بالقول أنا امرأة عندما تحاول تعريف نفسها، وليس هناك من رجل يفعل ذلك"[١٥] فالمرأة يتم تعريفها من خلال الرجل، الذى يكسبها هوية، فهي ذات تابعة للآخر، تعرف من خلاله، وتنسب إليه، وبالتالي مصطلح "الاستقلال" بل و"الأنا" لا يصلحان تماما في سياق توصيف السيكولوجية الأنثوية.[١٦]

فالمرأة في عرف المجتمع الذكوري تعامل على كونها شيئًا مملوكا لفاعل أول هو الأب الذي ينقل ملكيتها لفاعل ثانٍ هو الزوج، وتظل المرأة تدور في فضاء المفعولية. نلمس هذه الإشكالية منذ بداية تشكل الرواية حيث الساردة "عفاف" التي حوصرت بمجموعة من النواهي والمحاذير التي يجب عليها ألا تتخطاها، حتى لا تصبح منبوذة اجتماعية في محاولة لتكريس فكرتي النمذجة والنمطية التي يسعى الوعى الجمعي لتثبيتهما في تشكيله لصورة المرأة التي يرضى عنها المجتمع. وهذا ما انعكس على ذاتها فأضحت مشوشة الهوية، تقول:

"اكتشفت أنني مشوشة الهوية، وقد كانت مشوشة أصلاً. فأنا بنت، لكني لخوفي من تخوفاتهم تصبينت وصرت ما بين البين. ولرغبتي في الحصول على المزيد من الاحترام رفضت سمتي الأصلية وبت "خنتة": لا هي ذكر ولا هي أنثى... وازدادت هويتي تشويشا"(١٧).

حاولت الساردة/ الأنثى أن تعيش دور الذكر في مراحلها المبكرة من الطفولة في استعاضة نفسية لنيل بعض الحقوق التي يكسبها المجتمع للذكر، فباتت هويتها مشوشة، ويتكرر لفظ "الحسد" مرارًا في ثنايا السر د لتصف "عفاف" عبره موقفها من الذكر، محور الاهتمام، تقول لصديقتها:

"أنت نفسك ألا تمنين أن تكوني ذكرا لا يخاف من مقص الشهر ولا من غشاء البكارة ولا من الوقاحة والقتل؟ لا تضحى، ألا تتمنين أن يدللوك ويخدموك ويجعلوك الحارس والمحروس ويضيئوا لك الشموع والمبخرة ويرقوك من عين الحسود؟"(١٨).

وعندما كبرت الساردة وجدت أن الإطار يحددها، وخضعت لمقاييس الزواج في عرف الثقافة الجمعية، فهي "ابنة عيلة، واحد. حلوة، اثنان. صغيرة، ثلاثة. توجيهي (على الحفة)، أربعة. وميراث موعود قبل وبعد كل الأرقام. وطرت كما يطير كعك العيد، وهذا هو النعت الذي توصف به الفتيات النافقات، وصف "النافقة" يطلق على البضاعة الرائجة، وبالأفصح: بضاعة. ولا عجب ومقوماتي كل هذه المقومات ومقومات تقويمي وتقييمي هذه المقومات ، أن أفقد العقل والرشد وتنشل فيّ كل بذور الأمل حين علمت أني ما عدت امرأة ولادة"(١٩).

هذه هي المحددات التي تجعل من المرأة "بضاعة رائجة" في المجتمع الذكوري؛ مقومات تجعلها تتلاشى وتصير شيئا مجوفا لا هوية له، وتضيع الذات المؤنثة في عرف الثقافة الجمعية عندما تكون عقيما، غير قادرة على خلق الحياة، وإنجاب الأطفال ولا سيما الذكور. وعندما فكرت بالطلاق كحل لمأساتها مع زوج لا تحبه، وجدت نفسها مكبلة وغير قادرة على كيفية بدء حياتها دون الاعتماد على الرجل في حياتها، لقد بدأت ترى ذاتها على حقيقتها بعدما عاشت سنوات حياتها في الخيال في استعاضة عن عالم الواقع القامع، لقد اكتشفت أنها خائفة من مواجهة العالم ومجرد السفر وحدها، تقول:

"تذكرت أني لم أركب طائرة وحدي، ولم أقطع مسافة أميال وحدي، ولم أقم بأية معاملة وحدي، ولم أقف أمام شباك ختم جوازات السفر وحدي. والأبلغ من هذا وذاك أني لا املك جواز سفر. فأنا مرافقة دوما. أنا الحرم، حرم فلان، وفلان صاحب الجواز والزواج على السواء. وحتى قبل الزواج كان اسمى في جواز سفر الوالد واحدا من زمرة أسماء. وانتابني هلع فاضح. كنت خائفة حتى القرار. وكنت خجلة من خوفي حتى الفضيحة"(٢٠).

فذاتها متبوعة للآخر - سواء الزوج أو الأب -وهويتها مرهونة بوجود أحدهما في تبعية ملحوظة بدأت تتراءى للذات المؤنثة المأزومة. وعندما بدأت "عفاف " تعي موقفها، من أنها لا تستطيع العودة لتعيش مع أحد أخوتها ولا سيما بعد أن تم توزيع الميراث على الذكور فقط، فهي بهذه الحياة سوف تجتر حياتها السابقة ولن تعيش ذاتها الحرة، وسوف تدور في دائرة مفرغة من التبعية والهامشية، تقول:

"كل ما كنت أطمح إليه هو أن أجد ذاتي من جديد، وأن أستعيد احترامي لنفسي، وأن أبدأ معركة لها هدف ما، وأن أذرف دموعا على شيء له معنى"[٢١]. وعندما تذكرت حبها الأول الذى استشعرت معه ذاتها الحرة فإنها وعت في الوقت ذاته أنها سوف تعيش بعد طلاقها على هامش حياته، لأن له حياته الزوجية المستقرة. وقد تراءى لها أن الرجل الثوري الذي ينشد الحرية لجميع النساء فلديه ازدواجيته أيضا، فهناك امرأة للزواج وفق الأطر الاجتماعية، وامرأة للحب غير معلنة. ولذلك تأكد لـ "عفاف" أن الاستقلالية ضرورة ويحققها العمل، تقول: "بت أعرف أني – بكل صفاقة– لا أساوي شيئا بدون وظيفة"[٢٢].

الحديث عن كيفية تحرر المرأة ، والبدء بحياة مستقلة عن حياة الآخرين الذين يشكلون هوية الأنثى وفق رغباتهم، يستدعي ما طرحته " فرجينا وولف" Virginia Woolfفي كتابها "غرفة تخص المرء وحده" A room of one's own (1921)حين قالت: " إن النساء لكي يكتبن بحاجة إلى دخل مادي خاص بهن، وإلى غرفة مستقلّة ينعزلن فيها للكتابة"[٢٣]، فالاستقلال هو المعول الأول لتحقيق هوية المرأة، وكلام فرجينيا السابق وإن كان ينسحب على المرأة الكاتبة، فإنه يصبح ضرورة كذلك للمرأة بشكل عام، فما تحتاجه المرأة حتى تشعر بالحرية وبالتالي لتملكها لذاتها، وكي لا تحيا تحت رغبات الآخرين هو العمل الذي يحقق لها الأمان المادي. إذا ما فقدت عائلها سواء الأب أو الزوج. وهذا ما توصلت إليه الساردة / عفاف عندما اكتشفت أن هويتها وكينونتها مرتبطة بذاتها المستقلة وهذا لا يتأتى إلا بالعمل.

المرآة وهوية المرأة:

المرآة مفردة هامة من مفردات المرأة، تجمع بينهما علاقة وجدانية قائمة على الرؤية، بالإضافة إلى اشتراكهما في جنس لغوى وجناس بلاغي، وهى في السرود الإبداعية ولا سيما النسوية تتجاوز اعتبارها أداة لعكس ظاهر الأشياء لتكون دالاً استعاريًّا للذات في تشرذمها وتمزقها من جانب، وفي اتساقها وتصالحها مع ذاتها من جانب آخر[٢٤] فالمرأة تجد في المرآة

معادلا موضوعيا للذات، وهذا ما تراءى جليًا في علاقة عفاف/ الساردة بمرآتها التي عدتها صديقتها التي تثق بها، تقول:

"طوال عمري وأنا أمام المرآة. مرآتي صديقتي الوحيدة وحافظة الأسرار. فإذا بكيت فلها. وإذا أحببت سألتها رأيها. وإذا غضبت كشرت أمامها لأرى كيف أبدو، وهل يهابني الآخرون؟ صديقتي الوفية كانت، هي الوحيدة من بين ما صادقتهم طوال حياتي لم تخنّي ولم تفشِ أسراري، وبادلتني الشعور نفسه"(٢٥).

وفي عدة مواضع نصية تتردد مفردة المرآة لتؤكد تارة على اغتراب الذات الساردة وهروبها من محيطها الاجتماعي القامع، وتارة أخرى تستمد منها القوة لمواجهة واقعها، فكانت المرآة بمثابة المثير للذات المتأزمة، أمامها تتداعي ذاتها وتجتر ماضيها المقموع، ولا سيما علاقتها بالزوج الذي تختزل فيه الثقافة التي تمجد الذكورة وتحط من قدر كل ما أنثوي، تقول:

"أقف أمام المرآة أتمرن على تعبير معين أرسمه على وجهي لكي يخافني (أي الزوج) ويحسب لي الحساب، فقد كان من النوع الذي يتمادى كلما وجد في الجانب الآخر صبرًا، ورغم ذلك فقد صبرت، أرغمت على الصبر. كان قد نشأ على الدلع والدلال لأنه ذكر بين طابور إناث. وكان كل ما يطلبه يعطى له ويباح...أنا أيضًا تخرجت من بيت يتعطر ببول الذكر. ولأن الظاهرة (ظاهرة تمجيد الذكر) لم تكن جديدة علىّ فقد اعتدتها. ومن باب العادة أيضًا حقدت عليها حقدًا لا يعرف الأناة أو الهوادة. وشربت مرارتها حتى استقرت في أحشائي وترسبت في كريات دمي. فبفضلها فقدت هويتي وأصبحت "خنتة""(٢٦).

لقد وظفت الكاتبة المرآة نصيًا، وعدتها أداة التجلي المعرفي للذات، ووسيلة للذات الساردة لاجترار ماضيها وإبراز مدى تشرذم ذاتها ومعاناتها باعتبارها أنثى تعيش في مجتمع ذكوري حظى بكل الفرص، بينما المرأة تعيش فيه على هامش الفعل لتظل مفعولا به في عرف الثقافة الجمعية، وهي وإن سعت لتبرز لها هوية خاصة اعتبرها المجتمع خارجة عن إطار الأنوثة المتفق عليها، لذلك باتت عفاف/ الساردة في عرف محيطها وكما تقول "خنتة" لأنها وعيها تفتق مبكرا على وضعية الأنثى في مجتمع يحتفي بالذكور، وتُعد أي محاولة من قبل المرأة للخروج عن الأطر التي أرستها الثقافة الجمعية بمثابة الخروج عن النظام، بل وخروجًا كذلك عن الطبيعة التي فرضت على المرأة أن تكون الكيان الأضعف في عرف تلك الثقافة، لذلك أضحت هوية عفاف بين الهويتين "الأنوثة" و"الذكورة.

المكان والهوية:

يعد المكان الروائي مكونًا بنائيًا هامًا من مكونات العالم السردي، فلا يمكن إغفال دوره في الخطاب، فهو يمثل "القاعدة المادية الأولى التي ينهض ويستوي عليها النص، حدثًا وشخصية وزمنًا، والشاشة المشهدية العاكسة والمجسدة لحركته وفاعليته"(٢٧).

فالأحداث لكي تقع لابد لها من مكان تدور فيه، وكذلك الشخصيات تحتاج مكانا تتحرك فيه، تسكن فيه تستمد منه الأمان، أو أن يكون عبأ على الذات فيشارك في تأزم الشخصية، فهو ليس محض ديكور، أو مكانًا سلبيًا، تدور فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات فحسب، بل يتلازم حضوره بالدلالة النصية، فهو العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها البعض. وبالتالي يتجاوز اعتباره مسرحا سلبيًا مفرغًا من المعنى، حيث يتم تفعيله نصيًا لخدمة الدلالة والمعنى.

وتختلف علاقة الشخصية بالمكان باختلاف درجة الحميمية بينهما، فهناك أمكنة تطوق الإنسان كرحم الأم، يمارس فيها حريته ويجد فيها هويته، وتترسخ فيها جذوره، يتحرك فيها بأمان، وهناك أمكنة تحاصره، وتحد من حريته، وتمارس سطوتها عليه، وبين المكانين: المألوف والمحبب، والمكروه الضاغط، يتشكل وعي الشخصية وتبلور موقفه من العالم، ويتحدد منظوره، وآرائه.

إن العلاقة بين الشخصية والمكان علاقة تفاعلية تبادلية يؤثر كل منهما في الآخر، المكان يكسب الشخصية الشعور بالأمان والسكينة، أو تحاصره فتوقعه في الغربة والحصار، والشخصية تكسب المكان هوية وتحدد سماته وشكله، "فبقدر ما يصوغ المكان الشخصيات والأحداث الروائيّة، يكون هو أيضًا من صياغتها، وإنّ البشر الفاعلين، صانعي الأحداث هم الذين أقاموه وحددوا سماته، وهم قادرون على تفسيره، ولكنّهم بالطبع بعد أن يقوموا -أيُّ البشر- بذلك فهم يتأثرون بالمكان الذي أوجدوه(٢٨)".

هذا التأثر والتأثير المتبادل يجعل من المكان عاكسًا لنفسية الشخصية؛ فالعلاقة تنتقل من التأثر الظاهري إلى التغلغل في الواقع الباطني للشخصية، وهذا يفسر التكوين النفسي المتقارب لبعض الجماعات التي تقطن بقعة مكانية معينة، من حيث اتسامها بسلوكيات وسمات وطبائع متقاربة، فأهل الريف يتسمون ببعض الطبائع التي تختلف عن طبائع أهل الحضر، وأهل البادية يختلفون كذلك عن أهل الساحل، وهذا ما يؤكد تأثير البيئة المكانية على الشخصية.

كما أن سلوك الشخصيات يتحدد وفق بعض الثنائيات المكانية من قبيل الداخل والخارج، المفتوح والمغلق، الهنا والهناك، فما تمارسه الشخصية من طقوس في مكان لا

تمارسه في مكان آخر؛ فالبيت وما يفترضه من حرية في الملبس والمسلك ليس كأماكن العمل، كما أن دور العبادة ليست كأماكن اللهو والتسلية من حيث السلوكيات والأفعال، فكل مكان يتسم ببعض السمات المحددة التي تكسب المكان خصوصية وتفرض أفعالا تتناسب والمكان المحدد.

ويرتبط المكان ارتباطا كبيرًا بمفهومي الحرية الشخصية والسلطة " فهناك دومًا سلطة تمارس سيطرتها على الأماكن بشكل أو بآخر. وتختلف درجة هذه السلطة باختلاف الأماكن بالنسبة للشخصية، فهناك المكان الذاتي الذي تمارس فيه الذات سيطرتها لتملكها المكان. وبالقدر الذي تمارس فيه الذات سلطتها تمارس حريتها، فهو مكان حميمي ومألوف، تستشعر في ظله الذات السكينة والاحتماء، ويعد اختراق هذا المكان من قبل الآخرين من أشد ألوان التهجم على الحرية الشخصية، وكذلك مثارًا للرعب والهول. أما المكان الغيري فيخضع لسلطة الآخرين، وليس من حق الذات أن تخترقه وإلا وقعت في المحظور[٢٩]".

إذن يقترن المكان بتشكيل وعي الشخصية، ويتلازم مع مفهومي الحرية والسلطة، مثلما يقترن مفهوم (الكينونة) بمفهوم (المكان) لغويًا ليؤكد على درجة التلازم بين اللفظين، إذ يشترك فعل الكينونة العربي (كان) في جذره اللغزي (كون) مع لفظة (مكان)، ولعل هذا يعطي دلالة ما عن تلازم مفهوم المكان مع فكرة الوجود، ومن ثم فكرة الكينونة والهوية، فالمكان اشتقاقه كما ورد في لسان العرب (كان يكون) ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية[٣٠].

وفي رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" نجد أن الكاتبة قد وظفت المكان دلاليًا لإبراز قمع الذات وسلب كينونتها الحرة، سواء أكانت في بيت أهلها وهى صغيرة أو في بيت الزوج الذي رسمته نصيًا واعتبرته سجنًا طوق أناها الحرة التي تستيقظ فقط في الخيال، لقد عاشت في بيت الأهل وهى مطوقة بمجموعة من النواهي والمحاذير لكى تضمن الأسرة أن تكون مثل الأخريات اللائي لا يخشى منهن المجتمع، تقول عن نفسها وهى في بيت الأهل:

" صرت لا أملك من أمري إلا ما يختارونه لي، ولا أملك من أمرهم إلا أوامرهم. حتى أوامرهم ضعت بينها وفيها، فلا أنا منفذة صالحة، ولا أنا متمردة فالحة، فلا عجب إن اهتزت خطوتي" [٣١].

يمثل البيت عالم الإنسان الحميمي الذي يلي البيت الأمومي كما يقول غاستون باشلار[٣٢]ولأنه غير ذلك في منظور الساردة/ عفاف فقد أضحى مكانا خانقًا ضاغطا على الذات المؤنثة المكبلة بثقافة النواهي والمحاذير، والأمر لا يختلف كثيرا عندما انتقلت "عفاف"

للعيش مع زوجها في بلد غربي، فعاشت الغربتين؛ الغربة المكانية حيث البعد عن الوطن، والغربة النفسية حيث بعدها عن الزوج، لتعيش حياة مملة مفرغة من المعنى، وهى لذلك تنثر في ثنايا نصها بعض التفصيلات المكرورة عن حياتها داخل جدران منزلها الذي يحجب كما تقول عنها النور، فهي لا تعرف ما الذي يدور حولها:

"يبدأ النهار بوقفة متصلبة وراء آلة كهربائية تصدر صوتًا مزدوج الإيقاع. ألقي الملابس في فتحتها وأكبس الزر فينطلق النغم الرتيب. وتقفز إلى أذني ضربات وإيقاعات أغانٍ تشرق بالدموع وأبيات شعر غنائي ركيك أنجبته المناسبة:

سينتهي العمر القليل

ما بين طبخ وغسيل

دم تك دم تك

وأردد الأبيات وأضحك وأبكي وأخاطب عنبر:

يضيع العمر ويعلو العويل

ويمتد حزني كحبل غسيل

دم تك دم تك

دم دم دم"(٣٣).

حياة خالية من المعنى في مكان أصم، يغيب عنه الحوار بين الزوجين، بل نجد أن الزوج عندما تستدعيه الساردة في الخطاب الروائي تشير إليه بضمير الغياب، ليعكس حالة غياب التواصل بينهما، تقول :

"من هو؟ زوج كريه لامرأة عقيم. ومن أنا؟ امرأة اعتاد ودودها رغم العقم، تنظف بيته، تطبخ له، تستسلم لنزعاته البهيمية، والسادية، ولا تلوم أو تعاتب بعد أن اعتادت ويئست.." (٣٤).

ويتضح من هذا المقطع النصي رؤية الذات المؤنثة لذاتها وللآخر الذي يمارس وصايته عليها من منطلق استسلامها لتصبح كجثة مفرغة من الأمل، في بيت مفرغ من المعنى.

ولذلك أضحى المنزل يحمل دلالة معكوسة فبدلا من أن يكون رمزًا للاحتواء والأمان صار مكانًا ضاغطًا، تقول الساردة عن نفسها في هذا المكان:

"وأنا في الداخل دودة قز في شرنقة. ومع الوقت انقلبت دودة. دودة حقيقية. دودة لا تقوى على شيء إلا ممارسة الزحف. وكنت أسمع أخبار البلد بالصدفة فأهز كتفي وأقول:

يكفيني همّي. وأذكر أيام الاحتلال الأولى والناس و رحيل وخوف وجوع وندب متواصل، وأقول بصفرة: هكذا، بلد تحبل وتلد. لكني في الأمسيات، وحين تنفتح الشاشة الصغيرة عن صوتها وتقول: اللى له في بلاده حباب، أبكي دون أن أتعب نفسي في إيجاد تفسير. وفي الصباح أعود إلى ما كنت عليه، مجرد دودة.

أستيقظ صباحًا فترتطم عيناي بخزانة صُممت بذوق سقيم. مرآة وحواش وحفر. والستارة الكثيفة تخفي عن نخلة السفارة. ومبنى السفارة يحجب عني شمس الشرق. كل شيء في هذا البيت كأنما صنع خصيصًا ليحجب عني شيئًا آخر"(٣٥).

وفي لحظات تفكيرها للخروج من هذا البيت الخانق والتحرر من أسر الزوج، فإنها تصطدم مرارً بخوفها من التحرر الذي لم تمارسه من قبل، وحواراتها مع نفسها يشي بهذا الخوف ويعلن استسلامها لقبضة الواقع، تقول :

"قلت إن هذا المكان هو الذي اخترته لي الدنيا، وإني لا أملك سواه مكانًا يحتويني أو يؤويني. وإن الحقيقة ما يلي: ألا مكان للمرأة إلا بيتها" (٣٦).

تتردد الساردة بين اليأس والأمل، ولذلك وظفت الكاتبة تقنية المونولوج الداخلي، الذي تداعت عبره الذات المؤنثة وتكشفت، وعبرت كذلك –عبر توظيفه– عن انقطاع تواصلها مع محيطها الخارجي.

الخاتمة:

تعكس الرواية في عمومها معركة الذات المؤنثة لإثبات ذاتها بعيدًا عن السلطة الذكورية المضادة لتحرر المرأة، وتلمس طريقها لإثبات كينونتها الحرة. والساردة/ عفاف وإن تأزمت علاقتها بالمحيط الاجتماعي الخانق تهتدي إلى أن سبيل حرية المرأة هو مجاوزة الأفكار التي تحيط بها وتعتبرها الكائن الأضعف والعاجز أمام سطوة المجتمع، ولقد تأكد للساردة أن العمل هو بداية طريق تحرر المرأة وخلاصها من اعتبارها عالة على الآخرين.

الهوامش

١. عابد، محمد ، العولمة والهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت،١٩٩٩، ص١٠٠.

٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم: القاهرة، ١٩٩٤، ص ٦٥٤.

٣. عبد الله ، معتز السيد ، التعصب دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر: القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧، ص١٣٤، ١٣٥.
٤. إدوارد، سعيد، خارج المكان، ترجمة: فواز طرابلسي،دار الآداب: بيروت، ط١، ص ٣٢٩.
٥. صبري، حافظ ، أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات: القاهرة ، ط١ ، ص ٣٥، ٣٦.
٦. بيلسي، كاتين ، الممارسة النقدية، ترجمة: فؤاد عبد المطلب، دار التوحيد:سوريا، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٠٧.
٧. أوسبنسكي، بوريس ، شعرية التأليف "بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، ترجمة: سعد الغانمي وناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٩.
٨. أبو بكر، أميمة ، شيرين شكري، المرأة والجندر إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، دار الفكر، دمشق : سوريا، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٧.
٩. شعبان، بثينة ، بين الأدب النسائي الإنجليزي "غادة السمان وفرجينيا وولف" ،مجلة الموقف الأدبي: دمشق ع ١٨٦، تشرين الأول ١٩٨٦.
١٠.()وادي، طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مركز كتب الشرق الأوسط: القاهرة، ١٩٧٣، ص ٦٢.
١١.خليفة، سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية، دار الآداب: القاهرة، ط (٢)، ١٩٩٢، ص ٥١.
١٢.المصدر نفسه، ص ٩٦.
١٣.مرتاض، عبد الملك ، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد" ،سلسلة عالم المعرفة: الكويت، ع (٢٤٠)،(١٩٩٨)، ص ١٥٩، ١٦٠.
١٤.مذكرات امرأة واقعية، ص٥.
١٥.سلدن ، رامان ، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، مطبعة الفكر: القاهرة، ١٩٩١، ص ٢١٥
١٦.أبو العمرين ، سهام ، الخطاب الروائي النسوي، دراسة في تقنيات التشكيل السردي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية: القاهرة، عدد ٢٠٥، ٢٠١١، ص٣٣.
١٧.مذكرات امرأة واقعية ص٧.

١٨.المصدر تفسه، ص٥٢، ٥٣.

١٩.المصدر نفسه، ٤٠.

٢٠.المصدر نفسه، ص ٧٤، ٧٥.

٢١.المصدر نفسه، ص ١٠٢.

٢٢.المصدر نفسه، ص١٣٢.

٢٣.وولف ، فرجينيا ، جيوب مثقلة بالحجارة، ورواية لم تكتب بعد، ترجمة: فاطمة ناعوت، المجلس القومي للترجمة: القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤، ص٥٩.

٢٤.أبو العمرين ، سهام ، الخطاب الروائي النسوي "دراسة في تقنيات التشكيل السردي"، مرجع سابق، ص ١١٢.

٢٥.مذكرات امرأة واقعية، ص ٣٤.

٢٦.المصدر نفسه، ص٤٨.

٢٧.عوفي، نجيب ، مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغربية، المركز الثقافي العربي: بيروت- الدار البيضاء، ط (١)، ١٩٨٧، ص ١٤٩.

٢٨.هلسا، غالب، المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب: بيروت، ع ٢-٣، ١٩٨٠، ص ٧٣.

٢٩.أبو العمرين، سهام ، الخطاب الروائي النسوي، مرجع سابق ص ١٨٦.

٣٠.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط (١)، ١٩٩٠، مج ١٣، ص ٣٦٣.

٣١.مذكرات امرأة واقعية، ص٧.

٣٢.باشلار، غاستون ، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ط (٢) ، ١٩٨٤، ص ٣٨.

٣٣.مذكرات امرأة واقعية، ص٢١.

٣٤.المصدر نفسه، ص ٤٥.

٣٥.المصدر نفسه، ص ٤٥.

٣٦.المصدر نفسه، ص ٤٧.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور،(١٩٩٠)، لسان العرب، (ط١) ، بيروت: دار صادر.
- أبو العمرين، سهام ، (٢٠١١)، الخطاب الروائي النسوي، دراسة في تقنيات التشكيل السردي، (ع ٢٠٥)، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- أبويكر، أميمة ،(٢٠٠٢) شيرين شكري: المرأة والجندر إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، (ط١)، دمشق: دار الفكر.
- أوسبنسكي، بوريس(١٩٩٩)، شعرية التأليف "بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، ترجمة: سعد الغانمي وناصر حلاوي،(ط١)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- باشلار، غاستون ، (١٩٨٤)، جماليات المكان، ترجمة:غالب هلسا،(ط٢)،بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بيلسي، كاتين ،(٢٠٠٣)، الممارسة النقدية، ترجمة: فؤاد عبد المطلب،(ط١)، سوريا: دار التوحيد.
- الجابري، محمد عابد ،(١٩٩٩)، العولمة والهوية الثقافية، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، (ع٢)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- خليفة، سحر ،(١٩٩٢)، مذكرات امرأة غير واقعية ، (ط٢)، القاهرة: دار الآداب .
- سعيد، إدوارد ، خارج المكان، ترجمة: فواز طرابلسي، (ط١)، بيروت: دارالآداب.

سلدن، رامان ، (١٩٩١)، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، القاهرة: مطبعة الفكر.

- شعبان، بثينة ، (١٩٨٦)، بين الأدب النسائي والإنجليزي "غادة السمان وفرجينيا وولف"، (ع ١٨٦)، دمشق: مجلة الموقف الأدبي.
- صبري، حافظ ، أفق الخطاب النقدي، (ط١)، القاهرة: دارشرقيات.
- عبدالله، معتز السيد ، التعصب دراسة نفسية اجتماعية، (ط٢)، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر .
- عوفي، نجيب ،(١٩٨٧)، مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغربية، ط(١)، بيروت- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- مرتاض، عبد الملك ، (١٩٩٨)، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد" (ع٢٤٠)، الكويت :سلسلة عالم المعرفة.
- المعجم الوسيط، (١٩٩٤)، مجمع اللغة العربية، مصر: وزارة التربية والتعليم.

- هلسا، غالب ، (١٩٨٠)، المكان في الرواية العربية، ع(٢)، بيروت: مجلة الآداب.
- وادي، طه ،(١٩٧٣)، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، القاهرة: مركز كتب الشرق الأوسط.
- وولف، فرجينيا ،(٢٠٠٤)، جيوب مثقلة بالحجارة، ورواية لم تكتب بعد، ترجمة: فاطمة ناعوت، (ط١)، القاهرة، المجلس القومي للترجمة.

Abstract

The question of identification in the novel (A memoir of an unrealistic woman) for Sahar Khalifa is considered as a model of the Palestinian Woman.

Women suffer from an identity crisis on the general and private levels. For the private level , she suffers from being a female belongs to a community which bridle and constrict her by a group of limits and restriction . And for the general level , woman live with man a common humanitarian and national crisis stemming from self-Arab.

Therefore , the research poses the question of the stolen identification by studying the novel of Sahar Khalifa (A memoir of an unrealistic woman) aiming to study the transformations of the self-feminine and to find herself on the public and private levels.